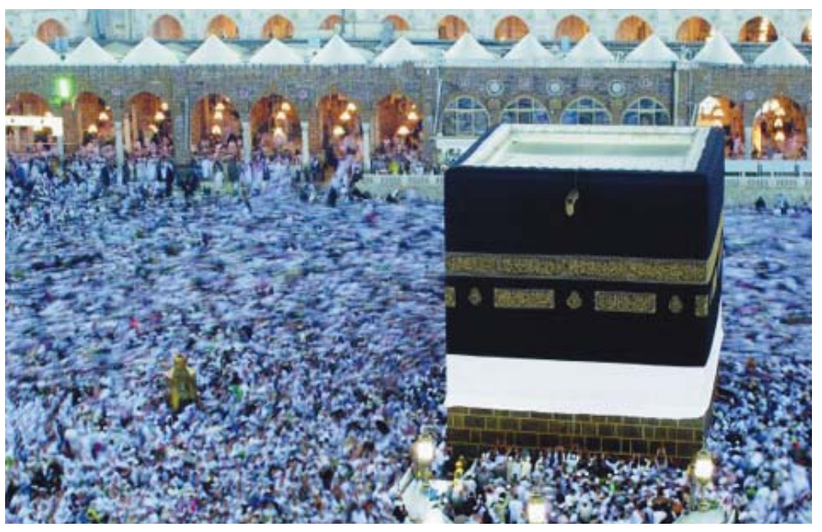

الحج دين في رقبة كل مسلم قادر

الفقيهة د . عبلة الكحلاوي :

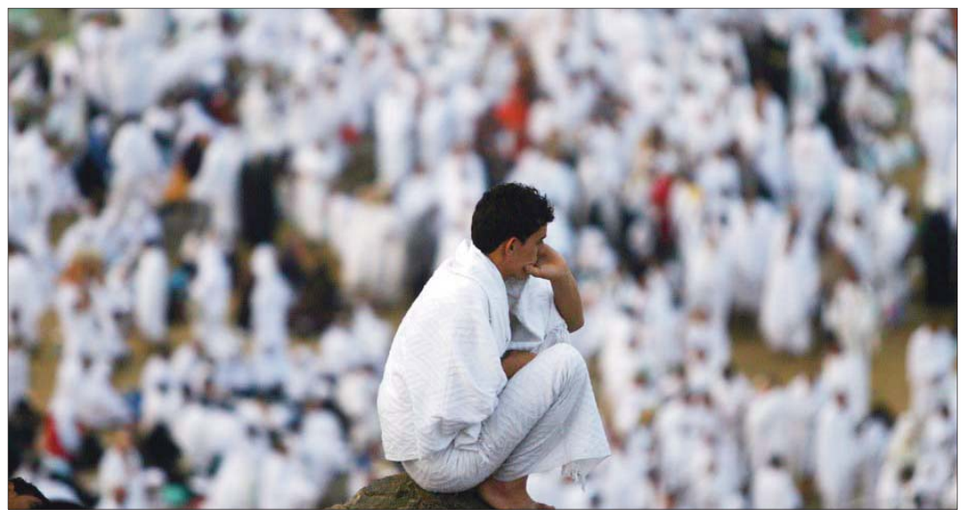

■ قالت الفقيهة والداعية الشهيرة د . عبلة الكحلاوي أستاذة الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر إن على كل إنسان المبادرة إلى أداء فريضة الحج متى توافرت له الاستطاعة المادية والبدنية فقد وعدنا رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه بأن الجنة في انتظار كل من يؤدي الفريضة بإخلاص ويلتزم الآداب والأخلاقيات التي تجعل الحج مبروراً ومقبولاً عند الله عز وجل . وحثت الداعية الكبيرة كل مسلم قادر على عدم الانشغال أو التقاعس عن أداء خاتمة الفرائض، وطالبت ضيوف الرحمن بتجنب المجادلات العقيمة التي تخرج بهم عن أهداف الحج ومقاصده الراقية .

دانت د . عبلة سلوك الأزواج وعنادهم مع زوجاتهم الراغبات في أداء فريضة الحج وأكدت أن تعاليم الشريعة تعطي للزوجة حق السفر لأداء حج الفريضة عند توافر الرفقة الآمنة في حالة عناد الزوج وتسلّطه . . لكنها نصحت الزوجات بألا يقدمن على هذه الخطوة إلا بالتراضي مع أزواجهن حرصاً على ما تبقى من ود بين الزوجين . وهذا نص الحوار:

بمناسبة موسم الحج وتلهف الملايين لأداء الفريضة . . ماذا تمثل هذه الفريضة بالنسبة للمسلم؟ وماذا تقول د . عبلة الكحلاوي للذين يؤخرون الحج إلى أواخر العمر رغم قدرتهم عليه مادياً وبدنياً؟

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، ويجب في العمر مرة واحدة على كل مسلم ومسلمة عندما تتوافر الاستطاعة لقوله تعالى "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين"، وأجمع العلماء على أن الحج فرض عين، وهو دين في رقبة كل مسلم قادر، ولذلك فإن الانشغال عن فريضة الحج هو انشغال عن عبادة واجبة وتأخيرها يعرض الإنسان لضياع فرصة لا يدري هل ستتاح له مرة أخرى أم لا، فالأعمار بيد الخالق القادر، وهو العليم الخبير، وعلى كل إنسان أن يلبي نداء خالقه ويبادر بأداء الفريضة متى توافرت له الاستطاعة المادية والبدنية، خاصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغبنا في أداء هذه الفريضة بكل وسائل الترغيب، فقد سئل صلوات الله وسلامه عليه أي العمل أفضل قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا قال: الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا قال: "حج مبرور"، وهو القائل صلوات الله وسلامه عليه "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" وهو القائل "حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن" وهو المرغب في أداء هذه الفريضة والموجه إلى سرعة أدائها فقال: "الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم" وقال: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه" .

كل هذه التوجيهات النبوية الكريمة ينبغي أن تدفع كل إنسان موحد بالله إلى أن يبادر بأداء هذه الفريضة لكي يجني ثمارها ويستفيد من خيراتها وهي كثيرة والحمد لله .

جدال مرفوض

ما أبرز الفوائد التي يمكن أن تعود على المسلمين الآن من وراء هذا التلاقي السنوي الضخم؟

منافع الحج كثيرة ومتنوعة وهي تتحقق في كل العصور والأزمنة فمنها ما هو روحي ومنها ما هو مادي، ومنها ما هو اجتماعي وإنساني، وأرى أن معظم فوائد الحج تتمثل الآن في تلاقي المسلمين وتعارفهم وحوارهم في جو روحي ومشاعر أخوية بعيداً عن الصراع والجدال فالإسلام دين حوار وتفاهم وجدال بالحسنى، ومن بين أهداف رحلة الحج التلاقي بين المسلمين وتبادل المعارف والعلوم والخبرات والتحاور حول هموم الأمة ومشكلاتها ولا يمكن أن يقر دين قام على الحوار والإقناع ومقارعة الحجة بالحجة رفض الحوار وإدانته، لكن لأن الحج فريضة من أبرز أهدافها تحقيق التلاقي والتضامن والتعاون بين المسلمين فإن الجدال أو الخلاف الذي ينتهي بالمتحاورين والمتجادلين إلى التشاحن مرفوض لأنه ضد أهداف الفريضة .

ولذلك فسر العلماء قول الحق سبحانه "لا جدال في الحج" بأنه لا مجادلة في غير ذكر الله تعالى في الحج، لا مجادلة في ما لا ينفع، لا مجادلة في أمور خاصة تثير الوجدان وتلهب الذكريات، والمقام مقام خلوص وانتماء إلى الباقي، وخروج من دائرة المنفعة والكسب والمشكلات المؤقتة، لا مجادلة في ما يغضب الآخرين ويثير حفيظتهم، لا مجادلة في قضايا تنطق حيثياتها بالعنصرية والتعالي . لذلك يجب على كل حاج أن يعمل بتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" وقوله عليه الصلاة والسلام "من حسن إسلام المرء قلة الكلام في ما لا يعنيه" وفي رواية "تركه ما لا يعنيه" .

والواقع أن الجدال قسمان:

جدال في أداء واجب للدفاع عن حق، مصدقاً لقوله تعالى "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" وهذا يصدق في حال الإحرام وغيره، لذلك وجب على كل رجل وامرأة يجدان في نفسيهما القدرة على توصيل علم ورفع جهالة حال أداء المناسك أن يفعلا ذلك، لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "الساكت عن الحق شيطان أخرس" فمن يرى صاحباً في الحج يرتكب إثماً عن جهل أو يرتكب محظوراً من محظورات الإحرام أو يصدر عنه سلوك مناف لآداب وأخلاقيات الفريضة فعليه أن ينصحه ويقوّم سلوكه حتى ولو أدى ذلك إلى مجادلته عملاً بقوله تعالى "وجادلهم بالتي هي أحسن" .

والشكل الآخر من أشكال الجدال هو الجدال بالباطل، وهو الذي حذر منه الخالق عز وجل، ونصحنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بالابتعاد عنه، لأنه يجلب للإنسان الإثم سواء أكان ذلك في الحج أو في غيره ولكنه في الحج أكثر إثماً وعقاباً من الله عز وجل .

الحج .. وموافقة الزوج

منذ أيام اتصلت زوجة بعالم دين في فضائية وبكت لرفض زوجها سفرها للحج لخلاف بينهما . . بماذا تنصحين المرأة في مثل هذه الحالة؟

هذا الزوج مخطئ وهو الذي يحتاج النصيحة وليست الزوجة المسكينة إذ إن منعها من أداء الفريضة تسلّط يرفضه الإسلام، والزوجة قد تسافر لأداء فريضة الحج وفي نفسها شيء من زوجها نتيجة إساءة أو سلوك معين، وهناك وفي ظل الحياة الروحية التي تعيشها تراجع نفسها وتعود وهي أكثر صفاء وشوقاً لزوجها، ولذلك أنصح كل الرجال بعدم العناد في مسألة سفر الزوجة للحج مادامت تؤدي الفريضة لأول مرة ومادامت في رفقة محرم أو صحبة آمنة من النساء، لأن شريعة الإسلام أعطتها حق السفر لأداء الفريضة من دون موافقة الزوج إلا إذا كان الحج تطوعاً أي أدت الفريضة من قبل وترغب في السفر لتكرار الحج، هنا يكون من حق الزوج أن يمنعها من السفر وتكون ملزمة شرعاً بالاستجابة له .

لكنني في الوقت نفسه أنصح كل الزوجات بأن يكون أمر السفر لأداء الفريضة بالتراضي، فالزوجة التي تسافر رغم أنف زوجها تترك وراءها جرحاً غائراً في علاقتها به، وقد تتسبب بذلك في إنهاء حياتها الزوجية معه، وأنا أقول وأؤكد أن الرغبة في الطاعة والعبادة والقرب من الله لا ينبغي أن تكون على حساب مصلحة حقيقية للأسرة ويترتب عليها تدمير أسرة وتشريد أبناء، لذلك أكرر أن التفاهم والتراضي أفضل، ولا داعي للعناد في هذه المسألة .

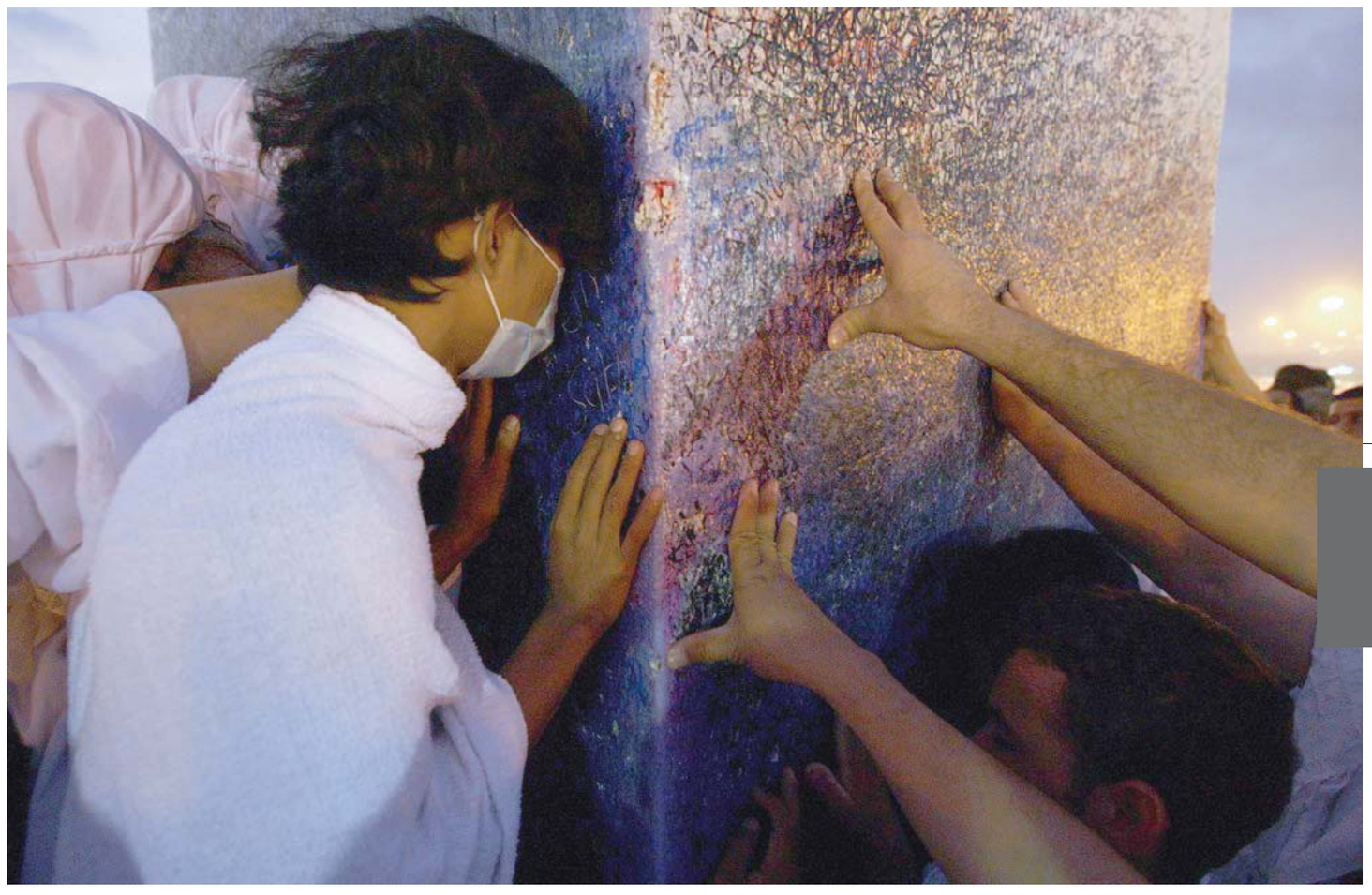

إلى عرفات الله يا خير زائر

فاضلي محمد يزيد

تهفو المشاعرُ والأفئدةُ المؤمنةُ هذه الأيامَ إلى عرفاتِ الله الطيبة، أينما كنتَ – أخَا الإسلام – وأنتَ تُغمضُ عينيْكَ، فيَسْبحُ بكَ الخيالُ النورانيُّ الشفيفُ إلى تلك الرُّبوعِ الطاهرة، وما تصدُقُ خيالاتُك حتى تبدأ جوارحُك المؤمنة في الْتقاط البثِّ التاريخيِّ العظيم، فيرسو بك سلطانُه إلىَ حيثُ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – حينَ أرادَ تلخيصَ رسَالته العظيمة في يوم القمَّة؛ يوم الحجِّ الأكبر، أو (حَجَّة الإسلام)، التي سَرَدَ لنا وقائعَها الصحابيُّ الجليلُ جابرُ بنُ عبدالله – رضي الله عنه – كما روَى الإمامُ مسلمُ بن الحجَّاج بسنده في صحيحه.

وكأنك – أخي المسلم – تتمثَّلُه ومن حوله مائة ألف، أو يزيدون، ممَّنْ ربَّاهم على مَبادئه، وبناهمْ علَى هُدىً من ربِّه، وها هم اليومَ، بعدَ رحلة كَدحٍ إسلامية، استهلكتْ ثلاثةً وعشرين عامًا منَ عُمُرِ الإسلام، يتجمَّعون في التاسعِ من ذيِ الحجَّة من السَّنة العاشرة للهجرة حول قائدهم المربِّي الكبير، وهو ممتطٍ ناقتَه (القصواء)، يمتدُّ بصرُه الشريفُ إلى آفاقِ هذه الجموع، فترقُّ عَبراتُه حنوًّا ورحمةً، وإذ به يَصدحُ بخطبته الجامعة، يُلقيها في قلْب الزمان، وضمير الوجود يُلقيها كعهدٍ وميثاقٍ غليظ.

أحبَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – أن يُغادرَ دنيانا وقد ترك أتباعَه على ضمان منه:

((أيُّها الناس، اسمعوا قولي؛ فإني لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعدَ عامي هذا، بهذا الموقف أبدًا، أيها الناس، إنَّ دماءَكم وأموالكم عليكم حرامٌ إلى أن تلقَوْا ربَّكم، كحُرْمة يومكم هذا، وكحُرْمة شهركم هذا، وإنَّكم ستلقَوْن ربَّكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بَلَّغتُ، فمَن كان عنده أمانة فليؤدِّها إلى مَن ائتمنه عليها، وإنَّ كلَّ ربًا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تَظلمونَ ولا تُظلمون، قضى الله أنَّه لا ربًا، وإنَّ ربَا عباس بن عبدالمطلب موضوعٌ كلُّه، وأنَّ كلَّ دَمٍ كان في الجاهلية موضوعٌ، وإنَّ أول دمائكم أضَعُ دمُ ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب – وكان مسترضعًا في بني ليث فقتلتْه هُذيل – فهو أوَّل ما أبدأ به مِن دماء الجاهلية.

أما بعدُ أيها الناس:

فإنَّ الشيطان قد يَئس من أن يُعبَد بأرضكم هذه أبدًا، ولكنَّه إن يُطَعْ فيما سوى ذلك، فقد رَضي به بما تَحْقرون من أعمالكم، فاحذروه على دِينكم، أيُّها الناس، إنَّ النَّسيءَ زيادةٌ في الكفر، يُضلُّ به الذين كفروا، يُحلُّونه عامًا ويُحرِّمونه عامًا، ليواطئوا عِدَّة ما حرَّم الله، فيُحلُّوا ما حرَّم الله، ويُحرِّموا ما أحلَّ الله، إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يومَ خَلَق الله السمواتِ والأرض، وإنَّ عدَّة الشُّهور عند الله اثنا عشرَ شهرًا، منها أربعة حُرُم؛ ثلاثة متوالية، ورجب مُضَر، الذي بين جُمادى وشعبان.

أمَّا بعد أيها الناس:

فإنَّ لكم على نسائكم حقًّا، ولهنَّ عليكم حقًّا؛ لكم عليهنَّ ألا يُوطِئْنَ فُرُشكم أحدًا تكرهونه، فإن فَعْلنَ فإنَّ الله قد أذِن لكم أن تهجروهنَّ في المضاجع، وتضربوهنَّ ضربًا غيرَ مبرِّح، فإن انتهينَ فلهنَّ رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف، واستوَصوا بالنِّساء خَيرًا، فإنهنَّ عندكم عوانٍ، لا يملكن لأنفسهنَّ شيئًا، وإنكم إنَّما أخذتُموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمات الله، فاعقلوا أيُّها الناس قولي، فإني قد بلَّغتُ.

وقد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضِلُّوا أبدًا، أمرًا بيِّنًا، كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه.

أيها الناس:

اسمعوا قولي واعْقلوه، تعلمُنَّ أنَّ كلَّ مسلم أخٌ للمسلم، وأنَّ المسلمين إخوة، فلا يَحلُّ لامرئ من أخيه إلَّا ما أعطاه عن طيب نفْس منه، فلا تظلِمُنَّ أنفسَكم، اللهمَّ هل بلَّغتُ)).

اللهَ اللهَ يا رسول الله، فداكَ أبي وأمي، ما أجلَّ أقباسَ نورك النبويِّ! وما أعظَمَ ما ألهمَكَ الله تعالى من أنوار النبوة! فكأنما ترى الغيْبَ من ستر رقيق، فانكشفَ الحجابُ الربانيُّ لك، فأراكَ اللهُ – تعالى – مآلَ الحال الذليل الذي عليه أمَّتُكَ المسكينة، التي صنعْتَها بيدك ذات فجرٍ إسلاميٍّ مُشرق.

ويستَمرُّ تداعي الخيالُ الأنورُ في سبحات فِكرك أخي المسلم؛ لتتنسمَ بأنفاس رئتيْكَ أنسامَ عرفات الطاهرة، وهي تضجُّ بذاك السَّوادِ الأبيض الأبلج من فلول الحجيج الميامين.

للَّه ما أعظَمَها من نفحات! وما أروعَها من مناظرَ تكْتحلُ بها العَيْن، وتتقاطرُ المشاعر، وتَجيشُ الوجدانات، ونحن نرى هذا الأديمَ الأبيضَ الناصعَ يملأ البطاحَ والشِّعابَ على امتداد الأفق والبَصَر، على صَعيد النور والخير، ابتداءً من حدود منًى، فالمشعر الحرام، ومرورًا بمسجد نَمرة، وانْتهاءً بصَعيد عرفات الله، فجبل الرَّحْمة الأشمّ.

نرى هذا الأديمَ الأبيضَ المتماوجَ، وهو ينسابُ بفلول هؤلاء الشُّعثِ الغُبر، الذين جاؤوا على كلِّ ضامر، ومن كلِّ فجٍّ عميق، وليسَ لهمْ من حظ دنياهم وقُشورها إلا هذه الخِرَق البيضاء (إزارًا ورداءً)، تلتفُّ في ثناياها أجسادُهم النقيَّة الطاهرة.

جاؤوا وليسَ لهم من هذا المظهر المهيب غيْرُ إظهارِ جلال الربوبيَّة والألوهيَّة، بالدعاء والرَّجاء وذل العبودية لمن انتسبوا لرحمانيته الوارفة، وكانوا عبادَ الرحمن كما أراد لهم ربُّهُم أن يكونوا.

تسَاوَوْا جميعًا، فسقطت الأبَّهة والعظمة، والعجرفة والكبرياء الأجوف، فانفضَّ سوقُ اللعب واللهو، والتفاخر والتكاثر بالأولاد، وقامَ سُرادقُ العبودية لصاحبها الأوْحد، فإذ بالحشْد الإسلاميِّ الكبير يتجرَّدُ من كل شيءٍ، ما عدا الحقيقة الإنسانية العارية، وإذ بالكلِّ يقفُ يَستجدي الرحمة والغفران، ويستشعرُ الضعفَ والتذلل، وإذ بالعيون الدامعة تنهمر، والقلوبُ الخاشعة تَوجل، والجِباهُ الساجدة تخضع، والأكفُّ الضارعة تبسُطُ راحاتها، تعانقُ اتجاهَ السماء، وفي نفس كل صاحبِ ضراعة المعنى الذي أرادهُ شوقي – رحمه اللهُ – حين دَعَا يومَ الحجِّ الأكبر:

وَيَا رَبِّ هَلْ تُغْنِي عَنِ الْعَبْدِ حَجَّةٌ
وَفِي الْعُمْرِ مَا تَدْرِي مِنَ الْهَفَوَاتِ

وإذ بالألسن اللاهجة تَشْدُو بنشيد عرفات في ترنيمة جماعيَّة، تُعلِمُ الدنيا حُداءَ التلبية والتحميد، تجأرُ إلى الله وهي تشكو حالَ أمَّةً عَدَتْ عليْها العادياتُ، فصارتْ أهوَنَ على نفسها من صرصار.

فَكانَ المنظرُ الجميل، وكانتْ ملحمة عرفات الخالدة.